«الوطن القومي اليهودي»، في حين تمسك الطرف العربي بمنح فلسطين الاستقلال وايقاف الهجرة مع تقديم ضمـانـات الى اليهود (ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧). ولم يكن من الممكن التوفيق بين المطلبين المتناقضين، مما حمل البريطانيين على اصدار «كتاب ابيض» تضمن الاسس المستقبلية للسياسة البريطانية تجاه فلسطين. ومن اهم هذه الاسس، تعهد بريطانيا باقامة «دولة فلسطينية مستقلة»؛ اذ ورد في الكتاب «ان هدف حكومة جلالته هو ان تشكل خلال عشر سنوات دولة فلسطينية ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة...»، وكذلك تحديد حجم الهجرة اليهودية الى فلسطين خلال السنوات الخمس المقبلة بـ ٧٥ ألف مهاجر، وتحديد مناطق انتقال ملكية الاراضي (ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠).

لم يقبل الطرف الفلسطيني، خلافاً لموقف حزب الدفاع، الكتاب الابيض، ووجه رفضه للهجرة اليهودية وانتقال ملكية الاراضي، في حين رفضت الحركة الصهيونية، بمختلف تياراتها، وبشكل قاطع، سياسة «الكتاب الابيض» برمتها، واخذت تشحذ اسلحتها كافة للنضال ضدها. بيد ان فلسطين كانت على عتبة مرحلة جديدة، ففي بداية ايلول (سبتمبر) اندلعت الحرب العالمية الثانية، واتجهت انظار الاطراف نحو السنة اللهب التي انهى المؤلف سطوره الاخيرة على ضوئها، ليسير على طريق البحث ويطلع الى القارىء بالكتاب الثالث من تاريخ الصهيونية ـ «الدولة في الطريق» او كما اسماه «الدولة القادمة».

ومن النهاية الى البداية. يكتب المؤلف في المقدمة: «وآمل ان اكون قد وفقت... بحيث يقدم الكتاب صورة وافية لاحداث الحقبة التي يتناولها، ويسهل على القارىء الوصول الى ما يبتغيه». اذا كان أمل المؤلف مقتصراً على ذلك، فلا شك في ان أمله قد تحقق، ذلك ان الكتاب قدم صورة وافية لاحداث الحقبة قيد الدرس، قياساً بالكتب العربية التي تعالج هذه الفترة.

ملاحظات «بحثية»

بيد ان هذه الصورة الوافية بحاجة الى يسير من «الرتوش» للطبعة المقبلة، وذلك لازالة الهفوات البسيطة التي تخللتها. وتجدر الاشارة، هنا، الى ان الملاحظات التي سنوردها هي بحثية صرفة:

١ ـ في الصفحة ١٧٣، أشار المؤلف الى ان مستوطنة ريشون لتسيون «هي اول مستوطنة يهودية تقام في فلسطين». والحقيقة ان اول مستوطنة غرست في فلسطين هي «بيتح تكفا» التي اقيمت العام ١٨٧٨ بالقرب من قرية ملبّس العربية، وتدعى «ام المستوطنات» اليهودية. وقد ورد هذا التعبير في كتاب المؤلف اكثر من مرة، كما وأشار، في كتابه ـ الجزء الاول، ص ١٠٥، الى عام تأسيسها، في حين اقيمت مستوطنة ريشون لتسيون العام ١٨٨٢.

٢ ـ اورد المؤلف، سهواً، عبارة «الهيئة العربية العليا» بدل «اللجنة العربية العليا»، حيث جاء في الصفحة ٢٠٦ «... غير انها لم تعمر طويلاً، اذ سرعان ما تفككت وحلت محلها، مع نشوب الثورة الكبرى سنة ١٩٣٦، الهيئة العربية العليا لفلسطين». وكذلك في الصفحة ٣٨٨ «... وفي المقابل، بادرت أيضاً الهيئة العليا الى اجراء اتصالات مع عدد من معارضي التقسيم ...» العام ١٩٣٧. ومن المعروف ان «اللجنة العربية العليا» اقيمت في العام ١٩٣٦، في حين أقيمت «الهيئة العربية العليا» على انقاضها في العام ١٩٤٦.

٣ ـ في الوقت الذي تطرق المؤلف، سواء بالتفصيل او الايجاز، الى الاحزاب العربية، والصهيونية، كبيرها وصغيرها، وتغطية مواقفها السياسية تجاه جملة من القضايا، الا انه اغفل ذكر الحزب الشيوعي الفلسطيني ومواقفه تجاه القضايا الاساسية. ومهما يكن، فانه من الممكن تدارك هذا الأمر في الجزء الثالث من الكتاب.

٤ ـ عرف الكاتب «الصهيونية المركبة»، المرتبطة باسم وايزمان، بأنها «نظرية تقضي باتباع سياسة معتدلة، وبتجميع كافة القوى الصهيونية، او غير الصهيونية، المستعدة للعمل في بناء الوطن القومي، ومن ثم رعايته ليكبر، تدريجياً، كما تنمو الشجرة، اذا حظيت بالعناية اللائقة». ان هذا التعريف، المتسم بضبابية سميكة، ليس فيه ما يفسر، او يعرف، مفهوم «الصهيونية المركبة» الذي تبناه حاييم وايزمان ودعا اليه. ذلك ان مفهوم «الصهيونية المركبة» هو بمثابة دمج لمفهوم «الصهيونية السياسية» ومفهوم «الصهيونية العملية»، وخلاصة هذا الدمج ـ التركيب هو مفهوم «الصهيونية المركبة». ويكون التعريف واضحاً في حال معرفتنا بالمفهومين السابقين، ذلك ان